أمريكا

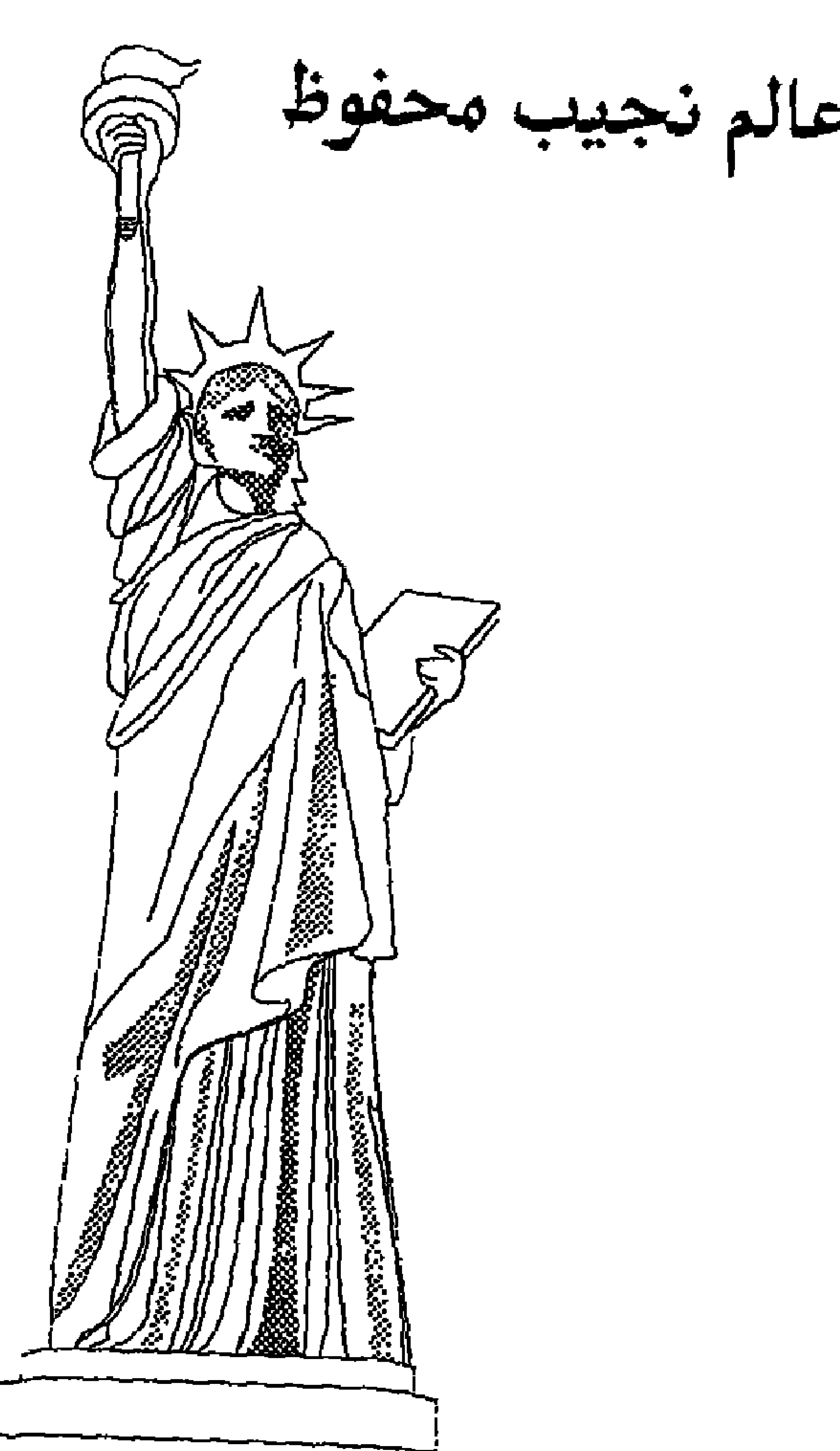
فى عالم نجيب محفوظ



مصطفى بيومى

أمريكا

فى عالم نجيب محفوظ



مصطفى بيومى

أمريكا فى عالم نجيب محفوظ

يتشعب الموقع الذى تحتله الولايات المتحدة الأمريكية في عالم نجيب محفوظ بحيث لا تمكن الإحاطة بأهميته إلا من خلال دراسته عبر محورين رئيسين :

أولا : أمريكا ومصر .. سياسيًا

ثانيًا : أمريكا ومصر .. اجتماعيًا

ونتوقف فى الخاتمة أمام جوانب أخرى – أقل أهمية في عالم نجيب محفوظ – لمظاهر مختلفة من الوجود الأمريكى.

أولاً : أمريكا ومصر .. سياسياً.

يمكن دراسة الدور السياسى للولايات المتحدة الأمريكية في مصر ، كما يعبر عنه أدب نجيب محفوظ ، من خلال المحاور التالية :

أ- ما قبل ثورة ١٩٥٢.

ب- الموقف الأمريكى من الثورة .

ج- حرب سنة ١٩٥٦.

د- حرب سنة ١٩٦٧.

هـ- الدور الأمريكى فى عالم السلام .

و- أصدقاء أمريكا.

أ- ما قبل ثورة ١٩٥٢

على الرغم من أن المبادئ الشهيرة للرئيس الأمريكي ويلسون ، بشأن حق الأمم في تقرير مصيرها ، كانت الدافع الأساسي لتشكيل الوفد المصري بزعامة سعد زغلول رغبة في السفر للاشتراك في مؤتمر السلام ، وهي الرغبة التي أدى رفضها ونفي المطالبين بها إلى اشتعال ثورة ١٩١٩ ؛ فإن اسم الرئيس الأمريكي - وأمريكا نفسها بالتبعية- لا يذكر في الصفحات الكثيرة التي يمتلئ بها أدب نجيب محفوظ عن أحداث الثورة " بين القصرين - حكايات حارتنا - المرايا - صباح الورد - قشتمر " ، واللافت للنظر أنه لا وجود سياسي للولايات المتحدة في الثلاثية كلها ، وهو الغياب الذي يعكس محدودية الدور الأمريكي تاريخيًا . ولا وجود كذلك للولايات المتحدة في الأعمال الروائية التي تتناول أحداث الحرب العالمية الثانية " خان الخليلي - زقاق المدق - السكرية - المرايا - قشتمر " لأن الاهتمام الأكبر ينصب على ألمانيا وإيطاليا واليابان في مواجهة إنجلترا التي تنوب عن الحلفاء جميعًا.

ويظهر اسم ويلسون في قصة " السماء السابعة " حيث لا يحظى بالنجاة ولا يتعرض للإعدام ، ولكنه يعمل مرشدًا

روحيًا ! . وإذ يتساءل الوافد الجديد:

– حسبته من القلة السعيدة التى صعدت إلى السماء الثانية ..

تأتى الإجابة محددة السبب فى الموقف الوسط منه :

– أنت تشير بلا شك إلى مبادئه السامية ولكنك نسيت أنه لم يستغل قوة أمريكا فى تنفيذها ، بل إنه اعترف بالحماية على مصر. " الحب فوق– ١٠٦ ، ١٠٧ ".

وويلسون بهذا التقييم من الذين تناقضت المبادئ التى بشروا بها مع السلوك العملى الذى مارسوه ، وهو تناقض تدينه قوانين السماء كما ترفضه أحلام الأرض!..

ويستمر الغياب الأمريكى عند التعرض لأحداث الحرب العالمية الثانية باستثناء إشارة عابرة فى حديث سياسى يتساءل فيه الإخوانى عبد المنعم شوكت: هل تقف أمريكا متفرجة ؟. "السكرية–٢١٣" .

باستثناء هذا التساؤل لا أثر للمشاركة الأمريكية فى الحرب " عسكريًا " ، ولكن القواد فرج إبراهيم يدافع عن اختياره لاسم " تيتى " بديلا لاسم " حميدة " قائلاً إن الاسم الجديد

من الأسماء التى تسحر ألباب الإنجليز والأمريكـــان ، ويســهل النطق به على ألسنتهم المعوجة. "زقاق - ٢١٤ ".

لا شك أنه يعني العسكريين المتواجديــن فــى القــاهرة بسبب ظروف الحرب ، ومما يؤكد ذلك انه يرفض أن يكــون " الرجل الأول " فى حياة حميدة-تيتى مفضلاً أن تحتفظ ببكارتــها لأسباب اقتصادية: إن الضابط الأمريكى يدفع خمسين جنيهًا عـن طيب خاطر ثمنًا للعذراء !."نفسه-٢٢١".

العسكريون الأمريكيون على هامش الحرب ، ولا مجـال للمقارنة بين الإحســاس الشــعبى بــالدور الأمريكـــى مقارنــة بالإحساس نفسه تجاه الإنجليز والألمان.

بل إن النفور من القنبلة الذرية الأمريكية التــى أُلقيـت على مدينة "هيروشيما " اليابانية- قبيل نهايـــة الحــرب-يبـدو منقطع الصلة بالعمليات العسكرية،وهو نفور إنسانى عام نجـــده عند ليبرالى عجوز مثل عامر وجدى فى قوله الاستنكارى لطلبة مرزوق: أتحسب أن الطوفان قد أهلك من البشـــر أكــثر ممــن أهلكتهم قنبلة هيروشيما ؟ . " ميرامار - ٣٣ "

والنفور نفسه يسيطر على جعفر خليل الذى يعـود مـن بعثته فى أمريكا معجبا بالحياة والبشر : ولكننـــى لــم أســتطع

التخلص من إحساس عام بالنفور والكآبة بسبب قنبلة هيروشـيما. "المرايا- ٨٢ ".

لم يكن لأمريكا بين ثورتى مصر فـــى ١٩١٩و ١٩٥٢ تأثير ملحوظ فى الحياة المصرية وفى أدب نجيب محفوظ معًـا ، وليست صدفة أن تكون إبداعات محفـوظ المعــبرة عـن تلــك المرحلة خالية من الوجود الفعال للولايات المتحدة.

فى أوائل الثلاثينيات يقول سالم الاخشيدى لمحجوب عبد الدايم وهو يعرض عليه أن يكون زوجًا رسميًا لعشيقة قاسم بــك فهى : الفرصة الجميلة كنز لمن يهتبلها ، حسرة للمتردد. أتذكـر كيف كان فيضان المسيسبى من سنوات بركة على قطن بلادنـــا البائر ؟. "القاهرة-١٠٢"

وفى أواسط العقد نفسه يضيق حسنين كامل بالكبت الذى تفرضه التقاليد الاجتماعية الصارمة ، فينطلق خياله نحو عـــالم بديل لا كبت فيه ولا حرمان: فى أوروبا وأمريكا ينشأ الفتيـــان والفتيات معًا كما نرى فى السينما . هذه هى الحياة . "بداية-٥٦"

الاستشهاد بأمريكا عند الأخشيدى " اقتصادى" محـض ، وعند حسنين " اجتماعى " عام ، ولا أثر لموقف سياسى-ســلبيًا كان أم إيجابيًا-عندهما.

ولعل اليسارى متقلب المزاج والآراء سـالم جـبر هـو الوحيد – فى مرحلة ما قبل ١٩٥٢ – الذى يعلن عـن عدائـه السافر العنيف لأمريكا ويتكلم عنها – سنة ١٩٥٠ – على أنـها " روح الشر " فى العالم ، صارخًا بأنـه لا نجـاة إلا بالشـيوعية العالمية. "المرايا–١٤٤"

وليست شهادته بذات أهمية خاصة لانه عنيف التقلبـات ومولع بالمعارضة للمعارضة ومخالفة كل ما هو شائع مـألوف ، والدليل على ذلك أنه يعود ليعلى من شأن أمريكا منتقصًا بشـدة من الاتحاد السوفيتى والشيوعية !

وفى مقابل محدودية الوجود السياسى الأمريكى قبل سنة ١٩٥٢، فإن الوجود يتزايد ويتعاظم بعد ثورة ٢٣ يوليو.

ب- الموقف الأمريكى من الثورة

ربما لأنها حركة عسكرية ، وللانقلابات العسكرية سمعتها السيئة ، تُتهم ثورة يوليو بالعمالة لأمريكا من قبل بعض شخوص نجيب محفوظ.

الوفدى المتحمس حامد برهان يتخذ موقفًا معاديًا ورافضًا لثورة يوليو ، وذات مساء راح يشرح " خبايا " الموقف السياسى لسماره قائلاً : ما الحركة إلا " مؤامرة " أمريكية للقضاء على الوفد . " الباقى - ٤١ "

ويتراوح موقف حمادة الحلوانى من ثورة يوليو -وهو اللا منتمى سياسيًا أو فكريًا - بين التأييد والرفض ، وفى انقلابه عليها يقول: ما هم إلاّ عملاء أمريكا. " قشتمر- ١٠٥ "

وثمة خوف " جماعى " يسيطر على أفراد شلة " المرايا" التى ينتمى إليها الروائى الراوى بعد ثورة يوليو : ساورتنا مخاوف من ناحية أمريكا ، وخشينا أن تحل محل إنجلترا بطريقة أو بأخرى ، بعدما شعرنا بمدى تأييدها للنظام الجديد.

المخاوف هنا ليست اتهامًا مطلقًا كما هو الحال عند حامد برهان ، وليست انعكاسا لحالة مزاجية متقلبة كما يفعل حمادة الحلوانى ، ولكنها ترتبط بالتأييد الأمريكى " المريب"

للثورة !. وينبرى قدرى رزق ، وهو من الضباط الأحرار الذين يترددون على الشلة قبل الثورة بسنوات، ليبدد هذه المخاوف: الأمريكان ذوو نفع كبير ولا خوف علينا منهم بفضل وطنية زعمائنا الجدد. " المرايا - ٣٣٧ ".

لم يكن فى الممارسات الأولى للثورة ما ينم عن العداء لأمريكا ، بل إن الشائع هو الاتهام بالعمالة والنظر إلى الثورة كمؤامرة أمريكية ! . ونجيب محفوظ ، ذو الرؤية الوفدية الخالصة، يتيح لشخوصه الوفديين والمتعاطفين مع الوفد فرصة توجيه الاتهام المباشر للثورة الوليدة بأنها صناعة أمريكية !. قدرى رزق ، مندوب الثورة ، هو الوحيد الذى ينفى التهمة ويجد فى الاتجاه إلى التعامل مع الكتلة الاشتراكية ، بعد صفقة السلاح الشهيرة مع تشيكوسلوفاكيا ، دليلاً جديدًا على وطنية الثورة وتوجهاتها المستقلة: أرأيتم ؟ نحن مصريون أولاً وأخيرًا، لا أمريكيون ولا روسيون !. " نفسه-٣٣٨".

لا عداء ولا عمالة إذن ، ويأتى الموقف الأمريكى من العدوان الثلاثى على مصر - كما يعبر عنه نجيب محفوظ - ليمثل امتدادا للموقف نفسه.

جـ- حرب سنة ١٩٥٦

يتساءل إبراهيم خيرت فى انفعال:

- أتحسبون أن إسرائيل تقدم على هذه الخطوة وحدها ؟

وتبادلوا نظرات غريبة نطقت فيها بواطنهم كأنما تذهلهم سكرة ، فعاد إبراهيم خيرت يقول :

- وراء إسرائيل تلبد فرنسا وإنجلترا وأمريكا !. "السمان -١٣٦".

الخطوة المقصودة هى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ بعد تأميم جمال عبد الناصر لشركة قناة السويس ، ومسئولية التحليل الذى يشرك أمريكا فى تأييد العدوان تقع على عاتق إبراهيم الكارة للثورة والحالم بعودة الوفد ونظام ما قبل يوليو ١٩٥٢ ، ولعله يبحث - ولو بالوهم ! . عن مزيد من "الضمانات" التى تؤكد قرب نهاية الثورة !.

الرواية فى عمومها لا تتعامل مع أمريكا كأحد الأطراف المشاركة فى العدوان على مصر، والصيغة المسيطرة تجمع بين إنجلترا وفرنسا وإسرائيل دون أمريكا ، وفى الحديث عن نهاية الأزمة إشارة دالة إلى توالى الإنذارات. " نفسه- ١٤٥ ".

"إنذارات" وليس "إنذاراً" وهـو مـا يعنـى التدخـل الأمريكـى والسوفيتى معاً.

ويزداد الموقف الأمريكى الإيجابى وضوحاً فى " البـاقى من الزمن ساعة " حيث تبدو الهزيمة نتيجة لمجـهود أمريكـى سوفيتى مشترك: ولكن هبت رياح شرقية وغربية فتناغمتا معـاً لأول مرة. احتجت أمريكا بجدية وصرامة، وتتابعت الإنـذارات الروسية كالصواريخ حتى أجبر الغزاة على تصفيـة نصرهـم بأنفسهم فى إذلال لا نظير له فى التاريخ. "الباقى ــ ٥٥".

احتجاج أمريكى وإنذارات روسية. الفضل إذن ــ مـن وجهة نظر الرواية ــ موزع بين أمريكا وروسيا معاً فى تنـاغم غير معتاد!.

ولعل الدكتور سرور عبـد البـاقى، وسـنتوقف عنـده تفصيلاً فيما بعد ، هو أكثر شخوص نجيـب محفـوظ اهتمامـاً بتأكيد الدور الأمريكى الإيجابى فى إفشال العـدوان الثلاثـى ، ويتجلى ذلك بوضوح فى حواره مع صديقه الراوى:

ــ لولا الولايات المتحدة لقضى علينا..

فقلت:

ـ بل الإنذار الروسى..

ولكنه رفض ذلك بشدة وقال:

ـ يحسن بنا ألا نفرط فى الصداقة الأمريكية بعد اليوم..

"المرايا ـ ١٥٥"

إلى ما بعد العدوان الثلاثى على مصر لم تكن العلاقات سيئة أو متوترة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بين حربى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ حدثت متغيرات وضعت أمريكا فى الصف الأول من أعداء الثورة الناصرية، وجعلت منها المتهم الأول فى هزيمة يونيه ١٩٦٧.

د ـ حرب سنة ١٩٦٧

عندما تلوح نذر الحرب، فإن الخوف من أمريكا ـ وليس من إسرائيل ـ هو المهيمن. فى ذلك الشعور تعبير عن الإحساس الشعبى بالتفوق المصرى، وهو الإحساس الذى يبرر قوة الصدمة وعنف رد الفعل بعد الهزيمة غير المتوقعة.

فى قهوة " الكرنك " يقول زين العابدين عبد الله:

ـ ليس بعيداً أن تتشب حرب هذا العام أو العام المقبل.

ولكننا كنا واثقين من قوتنا، فقال طه الغريب:

-لا خوف علينا إلا من تدخل أمريكا. "الكرنك-٣٥".

وتكتسب مقولة طه الغريب موافقة جماعية فى الحوار الذى يدور بعد تحرك الجيش المصرى إلى سيناء إيذاناً باقتراب الحرب: ولم يداخلنا شك فى قوتنا ولكن ...

- أمريكا ، هى العدو الحقيقى.

- إذا هجم الجيش انهالت علينا الإنذارات.

- سيتحرك الأسطول السادس.

- ستنطلق الصواريخ نحو الدلتا.

- ألا يصبح استقلالنا نفسه فى خطر ؟! " نفسه -٣٧ "

لا حساب لإسرائيل التى ساد الانطباع الخاطئ بأنها عدو سهل لا حول له ولا قوة له بمعزل عن الولايات المتحدة ، والحساب - كل الحساب - لاحتمالات التدخل الأمريكى بعد هجوم الجيش المصرى وتفوقه الحتمى وتهديده لـ " وجود " دولة إسرائيل !.

وفى " الباقى من الزمن ساعة " تكرر منيرة حامد برهان المخاوف نفسها فى حوارها مع ابنها على ، وهى تبدو على ثقة كاملة من الانتصار على اسرائيل واختراق حدودها

حيث يكمن الخطر فى مواجهة أمريكا نفسها:

- ليست إسرائيل بمشكلة ، ولكننا إذا اخترقنا حدودها فسنجد أنفسنا وجها لوجه مع الولايات المتحدة ..

فقال على:

- معنا الاتحاد السوفيتى !

فتساءلت :

- أتظنه يقدم على دمار العالم من أجلنا ؟ !

فقال على بإصرار :

- ولا الولايات المتحدة تقدم على دماره من أجل إسرائيل !. " الباقى - ٨٧ "

ليست إسرائيل بمشكلة ! ، والانتصار عليها حتمى ميسور !، والمشكلة فى التدخل الأمريكى المنتظر ودور التوازنات الدولية فى الحيلولة دون التدخل !.

طه الغريب ومنيرة برهان وابنها على ، وملايين غيرهم من المؤمنين بسهولة الانتصار على إسرائيل والخائفين من التدخل الأمريكى المتوقع ، ليسوا ساذجين أو من مدمنى أحلام اليقظة . المسألة أنهم يعبرون عن المناخ الشعبى للمرحلة والذى

تأثر بالخطاب السياسي السائد.

لقد تصور جيل يوليو الشاب – كما تقول الرواية نفسها– أنهم رعايا دولة عظمى مهيمنة على العرب وأفريقيا،حليفة لدولة عظمى ، ومتحدية لدولة عظمى أخرى !. " نفسه–٨٢ ".

فكيف لهذا الجيل أن يتخيل ويتقبل الهزيمة من إسرائيل؟!.

إذا كان الخوف –قبل الحرب– من التدخل الأمريكي ، فمن المنطقي أن يكون تبرير الهزيمة هو الدور الأمريكي في وقوعها !. سليمان بهجت ، المنتفع من ثورة يوليو دون إيمان حقيقي بمبادئها ، يجد في هذا التفسير السهل تخلصا من الأزمة كلها :

– ما هي إلاّ مكيدة أمريكية !

ويرد عليه الإخواني محمد حامد برهان :

– لا عذر عن الغفلة والحماقة .. " نفسه – ٩٠ "

الإخواني الكاره للثورة وزعيمها يتهم جمال عبد الناصر بالغفلة والحماقة لأنه تورط في حرب غير محسوبة النتائج ، وفي محاكمة عبد الناصر " أمام العرش " تتكرر الفكرة نفسها.

فماذا يقول جمال عبد الناصر مبرراً هزيمة ١٩٦٧:

- تعذر على النصر على جيش متفوق في التسليح ومؤيد بأقوى دولة على سطح الأرض!.

يرد عليه أمحتب وزير الملك زوسر:

-كان واجبك أن تتجنب الحرب وأن تكف عن استفزاز الدول الكبرى ..

فقال جمال عبد الناصر:

- كان ذلك يتناقض مع أهدافي وقد خدعت أكثر من مرة.

فقال الحكيم بتاح حتب:

- إنه عذر أقبح من الذنب. " أمام- ١٩٤ ، ١٩٥ "

يقول محمد حامد:" لا عذر عن الغفلة والحماقة " ، ويقول الحكيم بتاح حتب: " إنه عذر أقبح من الذنب ". وقبل اتهام أمريكا بمسئولية هزيمة مصر في حرب ١٩٦٧ ، ينبغي التوقف أمام دوافع أمريكا بالتدخل والانحياز لإسرائيل. أليس مما يدعو إلى الدهشة أن الثورة التي اُتهمت في مهدها بأنها مؤامرة أمريكية هي التي يدافع رموزها وقادتها عن الهزيمة القاسية ويبررونها بأنها مكيدة أمريكية ؟!.

- الدور الأمريكى فى عالم السلام.

ظهرت البوادر السلمية لمعالجة الصراع العربى الإسرائيلى بعد هزيمة ١٩٦٧ ، قبل سنوات من حرب أكتوبر ومبادرة السادات ؛ ولم تكن أمريكا بعيدة.

على المستوى الرسمى فقد قبلت مصر الناصرية مبادرة روجرز الأمريكية." الحب تحت-٢١٠".

وعلى المستوى الشعبى فقد ظهرت وتعالت الأصوات المبشرة بالحل السلمى تحت المظلة الأمريكية ، وزين العابدين عبد الله واحد من الذين يتابعون مناقشات الشباب المتحمس-بعد الهزيمة - فى مزيج من الاهتمام والاستهانة قبل أن يفصح عن رأيه النقيض:

- الحل تملكه دولة واحدة هى أمريكا !

وصادف رأيه هوى فى نفسه عارف سليمان الساقى فقال:

-صدقت

ثم أشار إشارة شاملة وقال:

-سيتغير كل شىء من جذوره ، وما هذه الصحوة إلاّ

الانتفاضة الأخيرة قبل تسليم الروح.

وبقى الشبان وحدهم لا يسلمون أنفسهم للماضى ولا يأملون خيرًا فى أمريكا. "الكرنك-٤١، ٤٢".

الحل الأمريكى لا يبشر به الانتهازى المتسلق زين العابدين وحده ، ولكنه يحظى بترحيب وقبول الطبقات الشعبية ممثلة فى عارف سليمان. وحتى الشباب الذين يعادون أمريكا ولا يأملون فيها خيرًا ، لا تخلو صفوفهم من أصوات تقترب من فكرة السلام عن طريق التفاوض، وهى ضرورة تلجأ إليها كل دول العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة نفسها : المفاوضة ضرورة ، كل الأمم تتفاوض ، حتى أمريكا والصين وروسيا وباكستان والهند . "نفسه - ٩٧".

ومما لا شك فيه أن القبول بمبدأ التفاوض مع إسرائيل يعنى القبول بالوجود الأمريكى الحتمى فى هذه المفاوضات.

وفى الرواية نفسها يقدم رجل المخابرات المعزول خالد صفوان تحليلا شاملا للقوى السياسية فى مصر ، ويتضح من تحليله أن الاتجاهات الدينية واليمينية ترحب بالولايات المتحدة كراهية فى الاتحاد السوفيتى من ناحية وبحثا عن نظام بديل للنظام الناصرى من ناحية أخرى. يقول خالد عن الاتجاه الدينى:

- ولعلهم يفضلون حلاً سلميًا مشرفًا يتحقق بتدخل من أمريكا وينهى علاقتنا بروسيا الشيوعية نهائيًا.

وصمت لحظات ثم واصل:

- ويوجد يمينيون من نوع خاص ، يتمنون التحالف مع أمريكا وقطع العلاقات مع روسيا ، ويرضون بحل سلمى مع تنازلات لا مفر منها ، ثم يحلمون بالتخلص من النظام الحالى ، والعودة إلى الديمقراطية التقليدية والاقتصاد الحر."نفسه-١٠٣".

وإذا كانت حرب أكتوبر لا تحظى باهتمام خاص عند نجيب محفوظ ، فإن المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى ترتبت على الحرب تنعكس على عالمه. وليست هذه المتغيرات السلبية بعيدة عن هزيمة ١٩٦٧ وما أعقبها من تداعيات وصولاً إلى مبادرة السادات ومفاوضات السلام المصرية الإسرائيلية برعاية الولايات المتحدة وتوقيع اتفاقية السلام فى الأراضى الأمريكية ، أو كما يقول السادات: وانتهى سعيى الطويل إلى معاهدة كامب دافيد . "امام - ٢٠٠ ".

الرافضون لسلام السادات لا يغفلون الدور الأمريكى فى صناعته ، والناصرية منيرة حامد برهان تعبر عن هذا الارتباط فى قولها: ليس أمامه اختيار فإما يدور فى فلك الولايات المتحدة وإمّا الموت جوعًا !. " الباقى-١٨٢ ".

وفى الرواية نفسها تولد اتفاقية السلام - التى تلقى معارضة عنيفة من اليسار واليمين الدينى معًا - فوق الأرض الأمريكية بعد عناء: تعثرت مفاوضات السلام حتى أوشك أن يقنط أنصارها ويشمت أعداؤها ، ثم ولدت ولادة عسيرة فى كامب ديفيد ." نفسه - ١٨٧ ".

وتمثل " كامب ديفيد " رمزًا لهدف ينبغى إسقاطه والتخلص من آثاره عند أعداء السادات والرافضين لسياسته ذات الهوى الأمريكى ، وفى المناقشات الساخنة التى تشهدها قهوة " ريش" يرتفع صوت ساخط: لا خلاص إلا بالخلاص من كامب ديفيد ." يوم-٤٧".

ولعل العجوز الحكيم محتشمى زايد هو الأفضل والأدق فى صياغته الموجزة لطبيعة الحلقات المتشابكة المتداخلة التى بدأت بالهزيمة العسكرية فى حرب ١٩٦٧ وانتهت بالانفتاح والمعاناة والسلام ، فهو يفكر فى حفيده المعذب علوان كضحية لجناة كثيرين: إنه خط طويل من المآسى. ٥يونيه والانفتاح وروسيا والولايات المتحدة ومملكة المنحرفين. " نفسه-٣٤ ".

ولا تكتمل الصورة الأمريكية فى الواقع السياسى المصرى إلا بالتوقف أمام أصدقاء الولايات المتحدة والمتحمسين لها فى عالم نجيب محفوظ .

و- أصدقاء أمريكا

أشرنا من قبل إلى وصف اليسارى المتقلب سالم جبر للولايات المتحدة بأنها روح الشر فى العالم . "المرايا-١٤٤".

كما أشرنا إلى الشباب الذين لا يأملون خيرًا فى أمريكا ." الكرنك-٤٢".

ولكن تحليل خالد صفوان - وهو من رموز وقيادات السلطة الناصرية - يكشف عن وجود اتجاهات دينية ويمينية تنحاز إلى أمريكا كراهية فى النظام الناصرى ورفضنا للنفوذ السوفيتى.

مدير العلاقات العامة زين العابدين عبد الله مؤيد لأمريكا ومؤمن بأنها " الوحيدة " التى تملك " الحل " ومتنبئ بأن كل شىء سيتغير ، وليس هو الوحيد الذى يرى ذلك ويبشر به ويدعو إليه. لأمريكا أصدقاء ومؤيدون - بدرجات متفاوتة - فى عالم نجيب محفوظ .

جعفر خليل " أقدم " المعجبين بالولايات المتحدة وأكثرهم اعتدالاً وموضوعية ، ويرتبط الإعجاب بإقامته فى أمريكا ومعايشته للحياة الأمريكية أثناء بعثته الدراسية التى بدأت فى العام التالى لنهاية الحرب العالمية الثانية . سافر لإعداد رسالة

للدكتوراه عن الفن فى المجتمع العربـــــى ، وقــرر أن يـــدرس السيناريو فى لوس أنجلوس. " المرايا - ٨١ " .

بعد عودته يقول لأصدقائه المحتفلين به :

-الحياة الأمريكية حياة غريبة وعظيمة ، والأمريكــى ذو مزايا لا يستهان بها ، ولكننى لم استطع التخلص مـــن إحســـاس عام بالنفور والكآبة بسبب قنبلة هوريشيميا ..

وقال أيضًا :

- يخيل إلى أن الأمريكيين يتجهون الآن نحو الاهتمـــام بالشرق اهتماما غير عادى ، وأن علينا أن نعمـــل لذلـــك ألـــف حساب. " المرايا -٨٢ "

لم تكن فترة الأربعينيات تعرف الاستقطاب الحاد الـــذى ساد فى العقود التالية بين اليمين واليسار ، وكـــان السياســيون المصريون- من مختلف الاتجاهات- يركزون على الصراع مع الإنجليز دون اهتمام يذكر بالولايات المتحدة والاتحاد الســوفيتى. ولعل فى ذلك المناخ ما يبرر اعتدال جعفـــر خليـــل وإعجابـــه الهادئ الخالى من التشنج بالتجربة الأمريكية التى تجمـــع بيـــن الغرابة والعظمة ولا تخلو ممارساته مما يسبب النفور والكآبــــة. وفى تجربة جعفر وشهادته نبوءة مبكـــرة بالأهميـــة المســـتقبلية

للدور الأمريكي فى منطقة الشرق الأوسط.

ولكن أصدقاء أمريكا يتشددون ويتطرفون بعد ثورة يوليو التى تبنت اتجاها اجتماعيا لا يروقهم ولا يوافق مصالحهم، وفى هذا الاتجاه ما يفسر تشبثهم بالاختيار الأمريكى النقيض وتحمسهم له إلى درجة التعصب.

الدكتور سرور عبد الباقى طبيب ناجح ملتزم أخلاقيًا ، ولا علاقة له بالسياسة والشئون العامة، ولكنه ينتبه ويصاب بحالة من الذعر نتيجة ممارسات الثورة الاجتماعية التى تهدد مصالحه. ويرى سرور – مخالفة للتوجه الرسمى السائد – أن أمريكا هى صاحبة الفضل الأكبر فى انكسار العدوان الثلاثى ، ويطالب بعدم التفريط فى الصداقة الأمريكية. " نفسه –١٥٥".

ليس التمسك بهذه الصداقة سياسيًا مباشرًا ، فالرجل لا يهتم بالسياسة التقليدية ، ولكنه تعبير عن وعى اجتماعى ودفاع صريح عن مصلحة اقتصادية مهددة. الدكتور يقدس الملكية الفردية والمجتمع المفتوح ، وفى التوجه الاشتراكى ما يقلقه ويخيفه . ويصل به الأمر إلى درجة " الشماتة " فى الهزيمة التى لحقت بمصر والنظام الناصرى سنة ١٩٦٧: وشد ما جزعت عندما آنست فى نبرته شماتة عقب هزيمة ٥ يونيه

١٩٦٧ ، وعندما لم يحسن مدارة فرحتـه بمـا ظنـه النجـاة. وناقشت ذلك الموقف مع الصديق كامل رمزى فقال:

- لا تدهش ولا تجزع ، الأفضل أن تعـرف الحقيقـة مهما تكن غريبة وقاسية ، ثمة جانبان يتصارعان بلا هوادة يقف فى أحدهما الروس والاشتراكيون العرب وطوائف الشعب التـى وجدت فى الاشتراكية جنتها الموعـودة ويقـف فـى الآخـر الأمريكان وإسرائيل والذين رأوا فى الاشتراكية ردعا لطموحـهم وجشعهم ..

فسألته :

- والوطن والوطنية ؟

فأجاب :

- تغير مفهوم الوطن ومضمونه ، لم يعـد أرضـا ذات حدود معينة ولكنه بيئة روحية تحدهـا الآراء والمعتقـدات !. " نفسه - ١٥٦ ، ١٥٧ ".

ما الوطن ؟!. إنه ليس كلمة مقدسة مطلقة ، فهو-علـى نحو ما-يرادف المصلحة الذاتية. وإذا كانت هزيمة الوطن هى " النجاة " ، فالترحيب بها وارد وقائم !.

وقد يرى كامل رمزى فى الشامتين من أمثال الدكتـــور سرور عبد الباقى " حلفاء " وربما " عملاء " لأمريكا وإســرائيل حرصًا على طموحهم الجشع ، ولكن هؤلاء الحلفاء – العمـــلاء أنفسهم يتعاملون مع المسألة بشكل مغاير.

فى الرواية نفسها لا يهتم عيد منصور بالسياسة ، ولكنـه يبدأ فى الانتباه والاهتمام والمبالاة عندما تتحول السياسة إلى أداة فعالة لتغيير الخريطة الاجتماعية وإعـــادة تشـكيل الأوضـاع الاقتصادية بما يهدد المصالح والمكاسب الشخصية . يفرح عيـد بهزيمة ١٩٦٧ مثل سرور عبد البـاقى ، ويقـدم تفسـيرا – لا يختلف كثيرًا عما يقوله كامل رمزى – لمفهوم الوطن والوطنية: لا وطن بعد اليوم إلا وطن المصالح ، فإما أن تكـون أمريكيـا وإمّا أن تكون سوفيتيا، إمّا أن تقبل الحريـــة والإرادة الخلاقـة والإنسانية وإمّا أن تقبـــل النظـام والعدالــة العميـاء والإرادة الميكانيكية !. " نفسه – ٣١٥ ".

ويتميز عيد – ربيب اليهود المصريين فى الثلاثينيـــات والأربعينيات– برؤيته المستقبلية الشاملة المشابهة لنبوءة زيـــن العابدين عبد الله: وأصبح حلمه الذهبى أن تسيطر أمريكا علـــى الشرق الأوسط وأن تحدد له مدارًا حضاريًا فى مجالها الحيـوى يلعب فيه العرب واليهود دورًا متكاملاً . " نفسه–٣١٦".

سرور عبد الباقى وعيد منصور وزين العابدين عبد الله وجدوا فى هزيمة ١٩٦٧ نجاة وخلاصا وفرصة للتصريح بانتمائهم الأمريكى ، ولكن أصدقاء أمريكا لا يختفون فى ذروة الصعود والزهو الناصرى. قد يتوارون ويتحايلون ، ولكنهم يفصحون عن أفكارهم ومعتقداتهم عندما يثقون فيمن يسمعهم ويأمنون شره. وطلبة مرزوق فى " ميرامار " نموذج لأصدقاء أمريكا التقليديين والمتطرفين فى صداقتهم وولائهم بلا حدود !.

لا يرى طلبة فى نفور عامر وجدى من قنبلة هيروشيما إلا ترديدًا لـ "دعايات" الشيوعيين!، وهو يزايد على أمريكا عندما يقول مدافعا عما لا ينكر خطأه الأمريكيون أنفسهم: إن أكبر خطأ فى حق البشرية قد وقع لدى تردد أمريكا فى الاستيلاء على سلطان العالم عندما كانت تملك وحدها القنبلة الذرية !. " ميرامار – ٣٣ ".

إنه لا يقنع بما هو دون السيادة الأمريكية الشاملة على العالم ، ولا يفكر فى الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية التى يراها مجرد " دعايات " شيوعية مغرضة !.

وفى حواره مع ابن التنظيمات الناصرية سرحان البحيرى ، لا يجد طلبة حرجا فى الإعلان عن هواه الأمريكى

ورفضه للشيوعية والتحالف مع الاتحاد السوفيتى.

يقول طلبة:

- ليس لدى روسيا ما تقدمه إلى بلد يدور فى فلكها ، أما أمريكا ..

- ولكن روسيا قدمت لنا بالفعل مساعدات قيمة !

فقال بعجلة:

- الوضع مختلف ، نحن لا ندور فى فلكها ..

ويرتد طلبة إلى حذره قائلا :

- الحق أنهما -روسيا وأمريكا- سيان فى رغبة التسلط على العالم ، لذلك فموقف عدم الانحياز الذى اعتنقناه حكمة وأى حكمة .. " نفسه - ٢٢٨ "

الفائدة والمصلحة مع أمريكا ، والخسارة واللا جدوى مع السوفيت . وليست شعاراته الإنشائية عن تشابه القوتين الأعظم فى رغبة التسلط على العالم ، وإشادته بالموقف الناصرى المحايد " الحكيم " ، إلاَّ " تقية " تكشف عن حذره وخوفه من التورط فى حديث قد يدفع ثمنه غاليا !.

المسكوت عنه فى حوار طلبة مع سرحان نجده صريحا مباشرا

فى حديث طلبة مع عامر وجدى العجوز الجدير بالثقة. يقول طلبة مشيرًا إلى الحديث الذى لم يكتمل مع " المرحوم" سرحان:

- أكد لى أنه لا بديل للثورة إلاَّ واحد من اثنين .. الشيوعيين أو الإخوان .. فظن أنه دفعنى إلى ركن مسدود ..

ويعلق عامر وجدى بإيمان :

- ولكن ذلك هو الحق .!

ضحك ساخرًا ثم قال :

- بل يوجد بديل ثالث !

- ما هو ؟

- أمريكا !

ويهتف عامر بغيظ :

- أمريكا تحكمنا ؟

فقال بهدوء حالم :

- عن طريق يمينيين معقولين ، لم لا ؟."نفسه-٢٧٧".

لم لا ؟! . الاتجاه الذى يمثله طلبة كاره أصيل للشيوعيين والإخوان المسلمين معًا ، وليس من بديل إلاَّ الحكم

اليمينى الأمريكى " المعقول " !!.

ألا تبرهن هذه الأفكار الصريحة على دقة تحليل خالد صفوان القائل بوجود اتجاه يمينى يتمنى التحالف مع أمريكا ونبذ السوفيت والتصالح مع إسرائيل والتخلص من الناصرية والعودة إلى النظام الديمقراطى الحر ؟ !.

وإذا كان طلبة مرزوق ينتمى إلى الجيل القديم و" العهد البائد " الذى كان سائدا قبل ثورة يوليو، فإن المحامى حسن حمودة – الأصغر سنا من طلبة – يمثل امتدادا موضوعيا وتعبيرًا عن جيل آخر يؤمن بالأفكار نفسها ويتحمس لها ويدافع عنها.

ينتمى حسن إلى عائلة وطنية عريقة أُضيرت من قرارات ثورة يوليو وتوجهاتها الاجتماعية الراديكالية ، ومأساته – فضلاً عن الخسائر المادية الفادحة– تكمن فى أن تاريخه العائلى المجيد قد تحول إلى " اتهام " بالرجعية وفقًا لمقاييس الثورة. وإذا يخاطبه الصحفى صفوت مرجان ساخرًا :

– نسيت أننى أخاطب رجلاً هواه مع جيش إسرائيل ضد جيش مصر.

يتساءل وهو لا يخلو من شعور بالاستياء:

– أهذا هو تصويرك لموقفى ؟

– المسألة مسألة موقف وطنى قبل كل شــىء.

– أى موقف وطنى !، إمّا الديمقراطية أو الاشــتراكية ، أمريكا أو روسيا ، وإذا كان من حقكم أن تحبوا روســيا فلــم لا يكون من حقنا أن نحب أمريكا ؟!. " الحب تحت–١٣٦".

لمنطقه قوة ووجاهة: أى موقف وطنى ؟!، ومن الــــذى يحتكر حق تحديد مفهوم الوطنية ؟ الاختيار بيـــن الديمقراطيـــة والاشتراكية يعنى الاختيار بيــن الولايــات المتحــدة والاتحــاد السوفيتى ، والمسألة حسابية منطقية بسيطة عند حسن : من حــق الاشتراكيين أن يحبوا روسيا ، ومــــن حــق الديمقراطييــن أن يتعلقوا بأمريكا.

وإذا كان الاشتراكيون يرون فى الديمقراطية " تهمــــة " ودليلا على الرجعية ، فإن الديمقراطيين من أمثال حسن يقفــــون على النقيض تمامًا: الديمقراطية الأمريكية رجعيــــة ؟!، أمريكــــا أمة علمية، وقد تجاوزت بالعلم خزعبلات الشيوعية ونبوءاتـــــها الكاذبة ..

إنه يكره الروس أكثر من الكوليرا. ولولاهــــم لكــــان ٥ يونيه يوم السعادة الحقيقية والفردوس المفقود. "نفسه–١٥٧".

أليس من "حقه " أن يكره السوفيت والشيوعية ؟ ، أليس من "حقه" أن يعجب بالعلم الأمريكى المتفوق على " الخزعبلات " الروسية ؟!. إنه ليس الوحيد الفرح بهزيمة يونيه ، وليس الوحيد الذى يتمزق بعد انقلاب المعايير إلى الدرجة التى تجعل الازدواجية مرضًا شائعا !.

فى ظل الصداقة التى تجمع بين الديموقراطى الرجعى والاشتراكى التقدمى ما يبرر القدرة على التصريح والبوح ، بل إن صفوت مرجان يحول الخلاف الجاد إلى فكاهة هزلية تتمثل فى صيغة الإعلان الشاذ الذى يقترحه على صديقه الباحث عن زوجة:

– ح . ح محام ناجح ، غنى ، من أصل أرستقراطى ، فى الأربعين من عمره ، أمريكى الهوى إسرائيلى الرؤية، يرغب فى الزواج من فتاة فى العشرين ، مثقفة عصرية ، جميلة.

ويرد حسن ضاحكًا :

– سيجيئنى الرد من وزير الداخلية . " نفسه – ١٥٨ "

جعفر خليل فى الأربعينيات معجب معقول بالحياة الأمريكية ، وطلبه مرزوق وسرور عبد الباقى وزين العابدين

عبد الله وعيد منصور وحسن حمودة أمريكيو الهوى في الخمسينيات والستينيات على الرغم من طغيان الخطاب الناصري المعادي للولايات المتحدة. ولهم ولأمثالهم تحققت السيادة الكاملة والهيمنة الشاملة بعد توجه السادات الخالص إلى أمريكا في السبعينيات .

في قصة " صباح الورد " تتوعت أعمال سيد ضرغام- أرباحه بعد الانفتاح ، وكان يقول : **يقولون إننا نرتمي باختيارنا في حضن الاستعمار الأمريكي فاللهم بارك خطانا !.** " صباح – ١٨٦"

الأهمية في تنوع الأعمال ومضاعفة الأرباح ، أما الارتماء في أحضان الاستعمار الأمريكي فلا يعني شيئًا؛ أو يعني الخير كله!.

ليس هذا الانقلاب " التحتي " إلاَّ انعكاسا لسياسة فوقية تبناها السادات الذي فضل الاختيار الأمريكي متخليًا عن اتجاه عبد الناصر المضاد. وفي " امام العرش " يتواجه الزعيمان ويختلفان. يقول عبد الناصر:

– واستبدلت بعملاق طالما ساندنا عملاقا طالما ناصبنا العداء.

ويرد السادات مدافعا عن اختياره ومتشبثا به:

- اتجهت إلى العملاق الذى بيـــده الحـــل ، وصدقـــت الحوادث ظنونى !. " أمام - ٢٠٣ "

اختيار سياسى فوقى ينعكـــس علـــى موازيـــن القـــوى الداخلية. وقد لا يخلو عصر السادات من معارضين أشداء للنفوذ الأمريكى كما نجد فى قصة " المسخ والوحوش " علـــى لســـان واحد من قادة حزب التجمع اليسارى المعارض: أما الوحش فهو الإمبريالية العالمية أو إن شئت الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة. " التنظيم- ١٢٤".

ولكن السائد المهيمن هو الحلم الأمريكى !.

ثانيًا : أمريكا ومصر .. اجتماعيًا

تدور العلاقة الاجتماغية بين مصر وأمريكا فى إطار ما يمكن تسميته بسيادة " الحلم الأمريكى"، ويمكن دراسة هذا الحلم – كما يعبر عنه عالم نجيب محفوظ – من خلال قسمين: الأول يتمثل فى طوفان الهجرة الفعلية –أو الحلم بالهجرة– إلى الولايات المتحدة ، والثانى يتجسد فى الهجرة الشعورية الداخلية دون مغادرة الوطن من خلال احتذاء النمط الأمريكى وتقليد نموذج الحياة الأمريكية كذروة للرفاهية والترف.

أ- الهجرة إلى أمريكا

الولايات المتحدة الأمريكية مجتمع مهاجرين ، وظاهرة الهجرة إلى الولايات المتحدة لا تقتصر على مصر وحدها بطبيعة الحال . وفي رأس أنيس زكي – المدمن الذي لا يفيق – تتلاطم خواطر شتى عن أهم الأحداث التي عرفها العالم في تاريخه: الغزوات الإسلامية والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ومصارع العشاق والفلاسفة والصراع الدامي بين الكاثوليكية والبروتستنتية وعصر الشهداء والهجرة إلى أمريكا.. " ثرثرة – ٩٥ ".

الهجرة إلى أمريكا ظاهرة عالمية تمثل حدثا بارزا في تاريخ العالم ، ومصر لم تعرف الهجرة إليها إلا في مرحلة متأخرة جعلت الريادة من نصيب الشوام . وفي قصة " نكث الأمومة " يتزوج محمد بك طلبة – في رحلة من رحلاته التجارية إلى الشام – من روحية هانم : كان الأب سوريا والأم أمريكية."همس–٢٢٥".

ولما كانت أحداث القصة تدور في الثلاثينيات، والزواج سابق لذلك بعقدين كاملين ، فإننا نستنبط أن تيارات الهجرة العربية–التي خلقت الزواج السوري الأمريكي – بدأت في القرن التاسع عشر. وإلى منتصف القرن العشرين كان العمل في

أسوان-فضلاً عن السودان- يعد غربة هجرة مؤثرة فى الحياة المصرية كما يعبر عنها أدب نجيب محفوظ !.

لم تنتشر هجرة المصريين إلى الولايات المتحدة إلا بعد ثورة ١٩٥٢ ، فقبلها لا نجد عند نجيب محفوظ إلا بعثة دراسية لجعفر خليل. "المرايا - ٨١ ".

وبعثة أخرى لحسين الجمحى . " صباح - ٤٥ "

وجاءت هزيمة ١٩٦٧ لتحول الهجرة إلى أمريكا - أو حلم الهجرة إليها - إلى ظاهرة عامة.

فى قصة " رجل " يكتب صحفى فى عموده اليومى عن جار له من رجال الجيل الماضى: هاجر أبناؤه الثلاثة إلى الولايات المتحدة .

وعن هؤلاء الأبناء يدور حوار مهم بين الرجل العجوز والصحفى . يقول الرجل :

- وعقب هزيمة ٥ يونية اجتاح الزلزال أبنائى الثلاثة ففقدوا انتماءهم وثقتهم فى كل شىء وهاجروا واحدًا فى إثر واحد إلى الولايات المتحدة ، ووجدت نفس غريبا كما كنت فى البداية !

- الهجرة تيار جامح لا ذنب عليك فيه ..

- ولكن توجد حقيقة مرة لا يجوز أن نغفلها وهى أننا لم نكن على المستوى المنشود حيال الهزيمة كما كنا حيال النصر ، وحاولت أن أغريهم بالرجوع بعد أن تغير المناخ العام كثيرًا ولكنهم أبوا ذلك بشدة ..

- من المحزن أن أفضلنا هم من يهاجرون .." الفجر - ٦٨ "

لقد وجد تيار الهجرة " الجامح " أرضنا خصبة بعد هزيمة ١٩٦٧ التى خلقت أزمة الثقة والمعنى وحطمت الحلم الناصرى دافعة الشباب إلى البحث عن حلم بديل ، ومن المنطقى أن تكون الهجرة من نصيب الكفاءات العلمية القادرة على خدمة المجتمع الأمريكى وتنميته . ومن ناحية أخرى فإن البحث عن المناخ العلمى المناسب والمستقبل المرموق من الدوافع المهمة عند المهاجرين إلى الحلم الأمريكى . وما أكثر المهاجرين والحالمين بالهجرة إلى الولايات المتحدة فى عالم نجيب محفوظ.

فى مسرحية " المطاردة " يقول " الأحمر " ساخرًا :

- الابن الوحيد الذى يحمل اسمك ضاع ، اخوته رجال أعمال يفخر بهم الوطن أما هو فماذا يعمل ؟ .. ملحن ، ملحن ..ها.. ها ..

ويرد " الأبيض " مدافعًا:

- لا يقل عن اخوته شأنا ولا يتطلع مثلهم للهجرة إلى الولايات المتحدة."الجريمة-٣٩ ".

الأغلبية تتطلع إلى الهجرة ، والاستثناء النادر هو الجدير بالتهكم والسخرية والانتقاص من شأنه !.

وبعد موت عبد الناصر يهاجر الطبيبان محمود وشريف، ابنا حسن محمود المراكيبى ، إلى الولايات المتحدة ليبدآ حياة علمية جديدة ناجحة . " حديث - ٦٥ "

وفى الرواية نفسها طبيب آخر هو شاكر عامر عمرو: دبر أمره للهرب ، فانتهز فرصة حضور مؤتمر طبى فى شيكاغو ، وهاجر إلى الولايات المتحدة وأقام بها قاطعًا علاقته بوطنه وأهله . وقد رجع فى منتصف الثمانينات مصطحبا زوجته وأولاده فزار والديه وأخويه وجدته راضية كضيف أجنبى ، ثم سرعان ما رجع إلى وطنه الجديد."نفسه-١٢١"

لقد تمت الهجرة السابقة فى الخمسينيات هروبا من ثورة يوليو ، وهى بمثابة النذير لهجرات مماثلة تقطع الصلة بالوطن وتحول أبناءه إلى زائرين عابرين وضيوف أجانب !.

مهاجرون بلا عودة يستبدلون وطنا بوطن ومناخا بمناخ، ولهؤلاء المهاجرين منطقهم الذى يتجلى بوضوح فى روايتى " المرايا " و " الحب تحت المطر " ، وهما الروايتان الأكثر تناولاً لظاهرة الهجرة والأكثر تعبيرًا -في الوقت نفسه- عن هزيمة ١٩٦٧.

يخصص نجيب فصلا كاملاً فى " المرايا " للحديث عن شخصية بلال عبده البسيونى كنموذج لجيل الشباب المهاجر إلى أمريكا والحامل لأفكار مفارقة لما كان سائدًا عند الأجيال السابقة.

يقول عبده البسيونى عن ابنه بلال : إنه مرشح لبعثة دراسية قصيرة بالولايات المتحدة ولكنه يضمر الهجرة .

الأب لا رأى له - ظاهريا - والأم ترحب بالفكرة : وتتخيل أنه سيكون بوسعها أن تسافر إلى الولايات المتحدة كلما شاءت ..

لا يعبأ الدكتور بلال بـ "المستقبل الباهر" الذى ينتظره "هنا " ، ويقدم دافعًا قويًا لضيقه بمصر ، تعلقه بأمريكا :

- إنى أتطلع إلى بيئة علمية صحية ..

ويكشف عبده عن " السر " فى تشبث ابنه بفكرة الهجرة، ويحمل أحد الأصدقاء مسئولية مرض الرحيل المسيطر على بلال :

– إن هجرة صديق له يدعى الدكتور يسرى أدارت عقله ولكنه فى اعتقادى شخص شاذ لا يصلح مثلاً طيبا ، كان طبيبا ناجحا سواء فى المستشفى أم فى العيادة ولكن غضبه على كل شيء لم يكن يهدأ لحظة واحدة ، ولم يكن يكف عن النقد المر ، كان يفور بكراهية غريبة نحو البلد ومن فيه ، فانتهز فرصة وجوده فى أجازة دراسية ثم قرر البقاء هناك.

يجمع الدكتور يسرى بين النجاح والغضب ، وتسيطر عليه مشاعر الكراهية لكل ما فى الوطن. ومن هذا المنطلق يبدو نموذجًا " شاذا " عند عبده البسيونى ، ولكن هذا النموذج الشاذ يحظى بدفاع حار من الابن المتعاطف الذى يعلق على تحليل أبيه قائلا:

– ونجح هناك نجاحا فريدا فى العمل والبحوث على السواء.

– وكان هنا ناجحا أيضاً فما معنى الهجرة ؟!

– البيئة العلمية يا أبى !، وإليك قصة وكيل قسم بالمستشفى الذى أعمل به ، درس حتى حصل على درجة

الدكتوراه بامتياز رائع ، انتظر أى تقدير فلم يظفر منه بشـــىء ، بل حورب حتى لا يحتل المكان العلمى اللائق به ، فما كان منـه إلاَّ أن هاجر ، ولدى عرض بحثه فى الولايات المتحـدة تلقـى اكثر من عــــرض للعمــل فــى الجامعــات والمستشـفيات .
"المرايا - ٥٢ ، ٥٣ ".

البيئة العلمية " المتخلفة " فى مصر و" المتقدمــة " فــى أمريكا تبدو سببًا وجيها مقنعا لأمثال يسرى وبلال ووكيل القسـم فى المستشفى . قد لا تكون البيئة هى السبب الوحيـد ، ولكنـها تمثل أهمية لا يمكن إغفالها . ذلك أن لجيــل يوليـو مفاهيمـه وأفكاره المختلفة عن جيل ثورة ١٩١٩ ، ولا يجد بلال حرجا فــى التصريح المباشر الصادم : وطنى الأول هو العلم. " نفسه-٥٤".

لم تكن هذه المقولة مطروحة من قبل ، فالوطنيــة هــى القيمة المقدسة الوحيدة. ولكن المتغيرات العالمية أثرت وزلزلت. وعندما يُسأل أبناء الجيل الساخط عمــا يمنعــهم عــن البحـث والإنتاج العلمى فى مصر ، تأتى الإجابة قاسية صريحـة علـى لسان بلال: توجد موانع وموانع ، استعداد بدائى للبحــث وجــو خانق للفكر والعدالة والتقدير، لذلك أفكر فى الهجرة ، وســأكون فى أمريكا أعظم فائدة لوطنى مما لو بقيت فيه ، فالعلم لجميــع البشر .. "نفسه-٥٥".

تغير المعنى التقليدى الراسخ للوطن والوطنية ، وانتشر التمرد والسخط على بدائية البحث والقيود المفروضة على حرية الفكر وغياب العدالة والتقدير.

منطق الجيل الغاضب أن الوطن لا يكون وطنا بمعزل عما يسوده من اتجاهات وقيم ، ومنطقهم أيضاً أن النجاح العلمى فى أمريكا سيعود بالخير على مصر نفسها !

شكوك كثيرة تحيط بفكرة عالمية العلم التى يتحدث عنها بلال ، ولكن المهاجرين الغاضبين لا يعبأون كثيرًا إلاّ بمنطقهم الخاص !.

وتنتقل عدوى الهجرة إلى شقيقة بلال: ستحصل على بكالوريوس فى الصيدلة فى نهاية العام الدراسى وهى متحمسة أكثر منه للهجرة ." نفسه – ٥٥ ".

وينتهى الأمر بهجرة الابن الساخط وتهيؤ الابنة المتحمسة للهجرة !. " نفسه – ٥٩ "

فى لوحة واحدة من لوحات " المرايا " خمسة من المهاجرين والشارعين فى الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، بل إن الجيل القديم ممثلا فى الأب عبده البسيونى يتأثر بالزلزال العنيف كما نجد فى تعليق دال للروائى الراوى :

شعرت بأن عبده غير جاد فى معارضته وأنه لا يحسن إخفاء إعجابه بابنه ." نفسه-٥٥ ".

ألا يعنى هذا الإعجاب الكامن أن لجيل المهاجرين منطقهم القادر على التأثير والإقناع وزلزلة السائد المألوف المستقر من قيم وأفكار ؟!.

ألا يمكن القول إن للحلم الأمريكى بريقه وإشعاعه وتأثيره القوى الذى لا تسهل مقاومته ؟!.

وفى " الحب تحت المطر "يسيطر حلم الهجرة إلى أمريكا على الدكتور على زهران وشقيقته منى . يقول الدكتور:

- إنى أفكر فى الهجرة !

ويشرح لها تفاصيل خطته :

- إنى على وشك الانتهاء من بحثى عن الطفليات وسوف أرسله إلى زميل مهاجر بالولايات المتحدة ليعرضه على الجامعات وبعض المراكز الطبية ومن ثم أنتظر أن أُدعى للعمل فى إحداها ، وهو ما حصل معه بالضبط ..

فشهقت بقوة من شدة الانفعال وقالت :

- أهاجر معك !

ثم بثقة:

- إنى متخصصة فى الإحصاء وأتقن الإنجليزية.

فابتسم الدكتور وقال :

- لئن نهاجر اثنين خير من أن أهاجر وحدى ..

وعارض الوالدان الفكرة ، ولم يدركا لها حكمة مـــا دام للشقيقين مستقبل مرموق فى مصر، فقال الدكتور لوالديه :

- البلد بات مقرفًا.

وقالت منى :

- وهو لا يطاق .

وأراد الأب أن يستثير عاطفتهما الوطنية ولكن الدكتـور على قال بجرأة عدها الأب قاسية :

- لم يعد الوطن أرضًا وحدوداً جغرافية ولكنـــه وطـن الفكر والروح . " الحب تحت - ٥٢ ، ٥٣ "

لا يتكلم الدكتور عن دوافع رغبته فى الهجرة ، ولكـــن الغالب أنه لا يجد المناخ الصالح للعمل فى مصر - البلد الـــذى بات مقرفًا ! -وعنده من المؤهلات العلمية ما يدفع أمريكا إلـــى

الترحيب به كما فعلت مع زميله الذى سبقه إلى الهجرة . ومنى نفسها تقدم أوراق اعتمادها من خلال تخصصها العلمى المناسب فضلاً عن إتقانها للغة الإنجليزية ، فهى تعلم أن الولايات المتحدة لا تستقبل إلاّ أصحاب الكفاءة القادرين على خدمتها. يرحب علي بهجرة شقيقته ، والمعارضة تأتى من الجيل القديم الذى يرى للشقيقين -بمقاييسه- مستقبلا مرموقا فى مصر- ومثلما يفشل المستقبل المرموق فى إثناء الشقيقين عن قرارهما ، تفشل " الوطنية " التى تغيرت مفاهيمها . لم تعد للحدود الجغرافية القديمة هيبتها وتأثيرها ، فالعلم هو الوطن الجديد القادر على احتواء الكفاءات من كافة الأوطان القديمة ؛ وأمريكا هى وطن العلم !.

ما أكثر أوجه الشبه بين مهاجرى " المرايا " والشقيقين " على " و " ومنى " ، وما أعظم التماثل بين أفراد جيل ثورة ١٩١٩ فى الروايتين !.

نشرت منى خبر قرارها بالهجرة فى الأوساط التى تعرفها؛ وراحت تحلم بحياة جديدة نقية توفر للفرد سبل التقدم والازدهار والأمن ." نفسه-٥٤".

ألا تعنى أحلام اليقظة هذه أن مصر- التى لا تطاق كما

تقول منى – تسيطر عليها حياة مختلفة لا جدة فيها ولا نقاء ولا فرص حقيقية للتقدم والازدهار والشعور بالأمان ؟!.

تعود منى إلى خطيبها الذى تحبه فتتراجع عن قرار الهجرة ، ولكن الفكرة نفسها لا تغادر خيالها. وفى لقاء يجمعها بصديقاتها وخطيبها تشير إليه قائلة :

– هذا الرجل هو المسئول عن فشل المشروع .

فقالت له عليات:

– نحن مدينون لك بالشكر .

فقالت منى:

– الهجرة على أى حال سنة !

فسألها إبراهيم:

– ولو كانت إلى الولايات المتحدة !

فأجابت بتحد:

– ولو كانت إلى الجحيم !. " نفسه – ٦٤ ".

أمريكا هى الحلم والنقاء والتقدم والازدهار والأمان ، ومصر هى الكابوس والقرف والتخلف والركود والانكماش

والخوف. ولأنها كذلك، فإن الهجرة ــ ولو كانت إلى الجحيم ! ــ أفضل من الاستمرار فيها . وما أمر وأقسى ما فعلته هزيمة ١٩٦٧ في وجدان جيل كامل.

ما تقوله مني زهران متهكمة ساخرة ساخطة ، يقوله اليسارى المتقلب سالم جبر لصديقه الراوى بلغة مختلفة .

يتساءل سالم :

ــ لم يود الناس أن يهاجروا إلى الولايات المتحدة ؟

ويجيبه الراوى بسخرية واضحة:

ــ لأنهم يجدون هناك الخبز والحرية

ويعلق سالم بامتعاض:

ــ لا قيمة للحياة بلا حرية فلا تكن متعصباً.

"المرايا ــ ١٤٧".

المفارقة ، التى تستدعى سخرية الراوى ، مردها إلى يسارية سالم وتبشيره القديم بأنه لا خلاص للعالم إلا بالشيوعية!.

ب- المهاجرون فى الداخل.

الذين لا تتاح لهم فرصة الهجرة الفعلية إلى الولايات المتحدة ، يهاجرون داخليًا باحتذاء النموذج الأمريكى والولع بتقليده والتشبث به.

يتحقق الولع باحتذاء النموذج الأمريكى عند المقيمين فى مصر بأجسادهم عبر عديد من المظاهر متباينة الأهمية والانتشار ، بدءا من الطعام والشراب والملابس وانتهاء بالتعليم والإعلام والفن.

- لا يجد صادق صفوان ما يعبر به عن جمال " سناء " إلاّ القول بأنها تفاحة أمريكانى . " قشتمر-١٠٥ ".

ولا ينبغى أن ننسى انتساب المقولة إلى عقد الستينيات الذى شح فيه التفاح الأمريكى !.

وإذا كان التفاح سلعة تصديرية تخضع لقوانين تجارية قد تحول دون التجار واستيرادها ، فإن الأثاث الأمريكى - المرتبط بالطعام والشراب - اكثر انتشارا ويقترن دائمًا بحياة الترف.

فى قصة "زينة " يحلم محمد بدران بحياة الثراء التى

تتمثل فى:مطبخ أمريكانى ، بار أمريكانى أيضاً."دنيا-١١٧"

أما عباس الماوردى فى قصة "صورة قديمة " فلا يحلم بحياة الترف لأنه يعيشها ، ومن أهم مفرداتها البار الأمريكانى. " نفسه-٢١٤"

وفى مسرحية " النجاة " يرتبط " السكر " بوجود البار الأمريكانى الذى يتعرض للعنة. " تحت - ١٨٨"

التفاح الأمريكى الشحيح مضرب المثل للجمال النادر ، والمطبخ والبار الأمريكيان من مظاهر الترف.

وليس أدل على الولع الشكلى بالنموذج الأمريكى مما نجده فى مسرحية " المطاردة " عندما يظهر مأذون عصرى يرتدى بنطلونا وقميصا أمريكيا متعدد الألوان. "الجريمة-٤٩"

- للتعليم الأمريكى فى مصر وجوده عند نجيب محفوظ ، وهو ما يظهر بشكل عابر ومحايد فى "السكرية " حيث المحاضرة الثقافية - التى لا تخلو من دعاية سياسية - عن شكسبير ، التى يستمع إليها كمال عبد الجواد ورياض قلدس ، فى قاعة ايوارت بالجامعة الأمريكية ."السكرية-٢٩٤"

ولكن الجامعة الأمريكية تكتسب مغزى طبقيا فى قصة "

من مذكرات شاب " حيث تظهر شخصية سعاد فى إطار اجتماعى مترف يكتمل بأنها متخرجة من الجامعة الأمريكية . "همس-٦٧".

وإذا كان محمد بدران يحلم بالمطبخ والبار الأمريكيين ، فان أحلامه تتسع أيضًا للسيارة وجهاز التكييف وتعليم الأولاد فى الجامعة الأمريكية . " دنيا - ١٢٠ " .

وللولايات المتحدة تأثيرها الإعلامى .

فى قصة " قوس قزح " تقرأ السيدة نظيرة ، المفتشة الكبيرة بوزارة الشئون ، مجلة أمريكية ." بيت - ٣٠ " .

وللإذاعة الأمريكية نفوذها وانتشارها ، وليس أدل على ذلك من استماع الناصريين والإخوان المسلمين إليها فى رواية " الباقى من الزمن ساعة " .

أثناء العدوان الثلاثى على مصر ، تستمع منيرة حامد برهان وزوجها سليمان إلى صوت أمريكا بوجوم ." الباقى - ٥٥ "

لا يشكان فيما يسمعان لانه يحظى بتصديقهما ، ومن هنا يتحقق رد الفعل النابع من التسليم بصدق ما يقال.

وفى حرب يونية ١٩٦٧ ينصرف الإخوانى محمد حامد

برهان وزوجه ألفت عن الإذاعة المصرية ، ومرقا إلى محطة لندن وصوت أمريكا فدهمتهما أخبار أخرى ." نفسه – ٨٨ "

إنها أخبار الهزيمة التى لم يعترف بها الإعلام المصرى إلاّ متأخرًا.

ويتكرر الاستماع فى حرب ١٩٧٣: وكالعادة لجأ محمد وألفت إلى محطة لندن وصوت أمريكا ." نفسه –١٣٨"

لقد تحول الأمر إلى " عادة "!.

وللسينما الأمريكية تأثيرها وانتشارها ، ويصل نفوذها إلى الدرجة التى تدفع الطبيب القائم بتوليد زوجة الممثل الكوميدى "صقر" فى قصة " الصمت " إلى مدح الممثل الشهير قائلا : إنك تضحكنى من أعماق قلبى ، لا أحد يضحكنى هكذا ولا الأمريكيون أنفسهم ." بيت –٤١ "

" ولا الأمريكيون أنفسهم " ! ، وكأنه من اليقين المتفق عليه أنهم ملوك الكوميديا فى العالم !.

ومن المنطقى ألا تنجو أمريكا من ولع الشخصية المصرية بالفكاهة ، وتساعد هذه الفكاهة فى الكشف عن الصورة النمطية لأمريكا فى مصر : الثراء والقوة.

إن الثراء الأمريكى لا يقاس به ثراء وزارة الأوقاف

المصرية!، وفى قصة " أسرة أناخ عليها الدهر " يقول الموظف الراوى فى مزيج من السخرية المرارة : للأسف الوزارة تقصر المعونة على الأسر التى أناخ عليها الدهر أما الفقراء فهيهات أن يشبعهم إلاَّ وزارة الأوَقاف فى أمريكا .. "الشيطان-٢٧١ "

ولأمريكا قوتها ونفوذها فى المنطقة العربية ، وفى قصة " رأيت فيما يرى النائم " يُصور فيلم عن عمر بن الخطاب بعد اعتراضات وصعوبات تدفع منتجه إلى القول فى مباهاة: لقد اقتضى السعى أن نطلب وساطة الرئيس الأمريكى ريجان. "رأيت-١٤٩"

ومن الذى يقوى على رفض وساطته ؟!.

ويحظى السفير الأمريكى فى مصر بموقع فى فكاهة أخرى نجدها فى قصة " أهل القمة " . فإذ يلوح النشال "سمسون العفش " لزملائه بحافظة نقود فاخرة- نشلها من زميله القديم زعتر النورى-متساءلاً: لمن هذه ؟" ، يجيبه أحدهم متفكها: للسفير الأمريكى ." الحب فوق - ٧٦ "

فكاهات مشحونة بالدلالات المعبرة عن ثراء أمريكا وعظيم نفوذها وتأثيرها فى عموم المنطقة العربية.

***

خاتمــــة

ركزنا فى الصفحات السابقة على الوجود الأمريكى فـــى مصر ، كما يعبر عنه أدب نجيب محفوظ ، من خلال المحورين السياسى والاجتماعى . وهذا الوجود هو الغالب مقارنة بـــالوجود الأمريكى العام الذى لا يتصل بمصر ويقترن بجوانـــب أخـــرى تتعلق بأمريكا من الداخل أو أمريكا فى علاقاتها الأخرى

فى جلسة من جلسات المخدر فى " ثرثرة فوق النيـــل " تتناثر تعليقات شتى ، ومنها : الطيارات الأمريكية ضربت فيتنـــام الشمالية. كأزمة كوبا تذكرون ؟ .. " ثرثرة – ٦٥ "

ولعل قصة " فنجان شاى " هى الأكـــثر تعبـــيرًا عـــن الوجود الأمريكى العام الذى لا يرتبط بمصـــر. تقـــدم القصـــة ترجمة لمجموعـــة مـــن الأخبـــار والموضوعـــات والمقـــالات والإعلانات التى يطالعها بطل عصرى فى صحيفـــة صباحيـــة تصدر فى النصف الثانى من الستينيات ، ومـــا يعنينـــا هنـــا أن نتأمل الموقع الذى تحتله أمريكا فى هذه الصحيفة.

الحرب الأمريكية الفيتنامية التى تتعرض لها مناقشـــات " ثرثرة فوق النيل " بشكل عابر ، نجد مزيدا من الاهتمام بها فـــى

القصة – الصحيفة. تتحول المادة المقروءة إلى صور حية تحيط بالقارئ فى فراشه: خرج من وراء الستارة جندى أمريكى وفيتنامى وهما يتبادلان إطلاق النار. تساقطت فوارغ الرصاص فوق الرجل فى فراشه فاضطرب فى مجلسه ولكنه لم يرفع رأسه عن الجريدة. رشف رشفة فى عصبية واستمر فى القراءة.

وصاح الجندى الأمريكى:

– أيها الشيوعى المنحط.

فصاح به الفيتنامى:

– أيها الإمبريالى المتوحش.

– ماذا جاء بك من الشمال ؟

– ماذا جاء بك أنت من وراء المحيط ؟

– الأرض كلها أمريكية .. وغدا سيكون القمر أمريكيا .

فقال الفيتنامى وهو يطلق النار :

– وستكون المقابر أمريكية ، سأقتلك ثم أقطف وردا وأرقص.

وكثر تساقط فوارغ الرصاص فوق رجل الفراش فقال متذمراً:

-ابتعد .

فصاح الأمريكى بالفيتنامى:

- انظر كم أنك مزعج للناس.

فصاح به الفيتنامى:

- إنه يوجه الخطاب لك أنت .

- ما كان ليجرؤ أن يخاطبنى بتلك اللهجة .

- إنى أطلق النار عليك أما أنت فتطلق النار فى جميع الجهات.

وعاد رجل الفراش يقول متأوهًا:

- اللعنة على كل معتد أثيم !

فصاح الأمريكى فى وجه الفيتنامى:

- أرأيت أنه يقصدك أنت ؟!

- يالجنون العظمة !

وظلا يتبادلان إطلاق النار حتى فرغت ذخيرتهما فمضيا غير بعيدين من الممثلة ووقفا جامدين. " شهر - ٦٧ ، ٦٨".

الفيتناميون شيوعيون منحطون من المنظور الأمريكى

والأمريكيون إمبرياليون متوحشون وفق الرؤية الفيتنامية.

وإذا كانت الترجمة القصصية للمنشور في الصحيفة تبدو محايدة موضوعية للوهلة الأولى، فإن تأمل الحوار ومساره يكشف عن انحياز منطقي معتدل لوجهة النظر الفيتنامية دون إغراق في الدفاع العاطفي والأيدلوجي. الحرب في زمن كتابة ونشر القصة موضوع الساعة المسيطر على وسائل الإعلام المختلفة ، والقارئ في القصة - الذي ينوب عن ملايين العاديين من الناس - يتابع ويتعاطف في هدوء لا انفعال فيه أو تعصب يتجاوز المعقول المألوف !

وإذا كان الصراع الأمريكي السوفيتي قد انعكس على الوجود الأمريكي في مصر كما أشرنا من قبل ، فإنه في قصة " فنجان شاي " يتخذ طابع المواجهة العامة بمعزل عن مصر. المنافسة في القصة تدور حول غزو الفضاء ، وهي تحتدم إلى درجة تبادل الاتهامات والسباب بما يتجاوز العلم إلى السياسة:

- يالك من دجال.
- اخرس أيها السفاك.
- سندفنكم أحياء.
- سندفنكم أمواتا." نفسه-١٠٦ ".

الإنسان العادى، الذى يمثل السواد الأعظم من البشـــر ، ليس مطالبا بأن ينحاز إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد السوفيتى ، ولكنه يجد نفسه مضطرًا إلى الخوف من خطورة مـا قد يترتب على الصراع بينهما من كوارث أو كما يقــول رجـل الفراش بقلق : من الحمق أن نترك هذين العملاقين يتخاصمـــان. " نفسه - ٧٧ ".

الصراع بينهما لن يرحم أحدا ولن يميز بين المســالمين والمتورطين فى الانحياز إلى أحــد المعســكرين المتنــازعين- باعتبار ما كان-على سيادة العالم.

وتجد التفرقة العنصرية - فى أمريكا وفى غيرها-مكانـا لها فى الصحيفة- القصة. يشكو الزنجى من الاضطـــهاد: فــى أمريكا يحاصرنى الاضطهاد باعتبارى الأقلية ، وفـــى أفريقيــا يحاصرنى باعتبارى الأغلبية !. " نفسه - ٨٥ ".

من المنطقى أن تحظى الولايــات المتحــدة بــالنصيب الأوفر فى اهتمام القصة التى تترجم الأخبار والــهموم اليوميــة للعالم ، فأمريكا صاحبة دور كبير- سلبا كان أم إيجابًــا - فــى تشكيل الأحداث الكونية وتطورها. إنــها منتشــرة فــى أخبــار الحروب والسينما والصراعات الاقتصادية والاكتشافات العلميــة

وغزو الفضاء وتجارة السلاح والتفرقة العنصرية والقضية الفلسطينية ، وحتى الموتى فى صفحة الوفيات لا ينجون من التصنيف مع أو ضد الولايات المتحدة !. " نفسه - ٩٣ ".

فى عالم نجيب محفوظ شهادة بالغة الأهمية عن الموقع الذى تحتله أمريكا فى الحياة المصرية - عبر مراحل مختلفة - على المستويين السياسى والاجتماعى، ولهذه الشهادة دلالتها فى الكشف عن الدور الخطير للولايات المتحدة ومدى تأثيرها ونفوذها. ولكن ما نود التأكيد عليه أن فى الصفحات السابقة ما يكشف أيضاً عن تفاعلات الحياة المصرية نفسها، فليست الصورة النمطية لأمريكا إلاّ انعكاسا لهذه التفاعلات واستجابة لمؤشراتها المتغيرة.

تم اختصار أسماء مؤلفات نجيب محفوظ الواردة فى مـتن الدراسـة.

على النحو التالى:

القاهرة الجديدة	= القاهرة	زقاق المدق	= زقاق
بداية ونهاية	= بداية	السكرية	= السكرية
السمان والخريف	= السمان	الشحاذ	= الشحاذ
ثرثرة فوق النيل	= ثرثرة	ميرامار	= ميرامار
المرايا	= المرايا	الحب تحت المطر	= الحب تحت
الكرنك	= الكرنك	الباقى من الزمن ساعة	= الباقى
أمام العرش	= أمام	قشتمر	= قشتمر
يوم قتل الزعيم	= يوم	حديث الصباح والمساء	= حديث
همس الجنون	= همس	دنيا الله	= دنيا
بيت سئ السمعة	= بيت	شهر العسل	= شهر
الجريمة	= الجريمة	تحت المظلة	= تحت
الحب فوق هضبة الهرم	= الحب فوق	الشيطان يعظ	= الشيطان
رأيت فيما يرى النائم	= رأيت	التنظيم السرى	= التنظيم
صباح الورد	= صباح	الفجر الكاذب	= الفجر

للمؤلف

أولاً - الروايات:

- الصورة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة أصوات أدبية، ١٩٩٥.
- لمحات من حياة المواطن م. ب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦.
- أحلام سرية، دار الأحمدى للطباعة والنشر، ١٩٩٨.

ثانيا - النقد:

- صورة الموظف فى روايات نجيب محفوظ، مكتبة السلام، المنيا، ١٩٩٠.
- الرؤية الوفدية فى أدب نجيب محفوظ، على نفقة المؤلف، طبعة محدودة، المنيا، ١٩٩١.
- الفكاهة عند نجيب محفوظ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٤.
- عصير الشخصية المصرية.. قراءة فى رباعيات صلاح جاهين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦.
- معجم أعلام نجيب محفوظ .. دراسة تحليلية، مطابع الأهرام، ط ١، ١٩٩٧، دار الأحمدى، ط ٢، ١٩٩٨.
- معجم أعلام "شقة الحرية" لغازى القصيبى، مطابع الأهرام، ١٩٩٧.
- محمد بن عبد الله، صلعم" فى عيون الأدب العربى، دار الهدى، ١٩٩٨.
- جمال عبد الناصر فى عيون الأدب العربى، دار الهدى، ١٩٩٨.
- معجم أسماء قصص يوسف الشارونى، مركز الحضارة العربية، ١٩٩٩.

- أستاذ الجامعة فى عالم نجيب محفوظ، دار الهدى، ٢٠٠١.
- اليهود فى عالم نجيب محفوظ، طبعة محدودة، ٢٠٠١.
- الفلاح والسلطة فى أدب يوسف القعيد، دار الهدى، ٢٠٠١.
- الفلاح والسلطة فى السينما المصرية، جامعة المنيا، ٢٠٠١.
- الكلب فى عالم نجيب محفوظ، طبعة محدودة، ٢٠٠١.
- أمريكا فى عيون نجيب محفوظ، طبعة محدودة، ٢٠٠١.

ثالثاً .كتب للأطفال

- الحياة الجميلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
- سيدة القرن العشرين، دار الأحمدى، ١٩٩٩.

سيكون المؤلف سعيداً إذا تفضل القارئ الكريم بإبداء ما قد يعن له من ملاحظات على العنوان التالى:

مصطفى على أحمد بيومى "مصطفى بيومى" ــ ١٧ ش ابن خصيب ــ المنيا.

ت : ٠١٠٥٧٦٢٥٩٧ - ٠٨٦/٣٥٥٣٩٩

فى عالم نجيب محفوظ شهادة بالغة الأهمية عن الموقع الذى تحتله أمريكا فى الحياة المصرية - عبر مراحل مختلفة - على المستويين السياسى والاجتماعى، ولهذه الشهادة دلالتها فى الكشف عن الدور الخطير للولايات المتحدة ومدى تأثيرها ونفوذها. ولكن ما نود التأكيد عليه أن فى الصفحات السابقة ما يكشف أيضاً عن تفاعلات الحياة المصرية نفسها، فليست الصورة النمطية لأمريكا إلا انعكاساً لهذه التفاعلات واستجابة لمؤشراتها المتغيرة.

